أغاني الهدهدة والتنويم في الشرق الجزائري

ـ قراءة سياقية ـ

إكرام بن سلامة
المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار ⋄ قسنطينة ⋄ الجزائر

ملخص

يعنى بحثنا هذا بظاهرة لافتة في أدب الأطفال؛ويتعلق الأمر بأغاني المهد، حيث تعد أغاني الهدهدة والتنويم من الموضوعات التي استحوذت على اهتمام كثير من المجتمعات؛ قديمها وحديثها، ونظرا للخصوصيات النفسية والاجتماعية لمرحلة الطفولة المبكرة عند جل المجتمعات، وما يعتريها من فروقات فإننا سنركز اهتمامنا على تلك المقطوعات الشعرية الشعبية، والتي تمثل أغاني خاصة بإلهاء الأطفال وتنويمهم، وسنركز اهتمامنا على منطقة الشرق الجزائري خصوصا، كاشفين عن بعض الخصائص الموضوعاتية والبنائية التي تشكلت وفقها تلك الأغاني. وهذا انطلاقا من كون تلك الأغاني جزءا لا يتجزأ من أدب الأطفال .

الكلمات المفتاحية: أدب الأطفال، شعر، أغاني الهدهدة، تنويم الأطفال، الطفولة والأمومة.

Abstract

This study seeks to examine some aspects of child literature and attempts, through it, to study a sample of early child literature at an early age. The study focuses on form and content of some lullabies and nursery rhyme from Eastern Algeria.

Keywords: *Child Literature, lullabies, nursery rhyme, eastern Algeria.*

يلقى شعر الأطفال في الجزائر عناية خاصة من طرف المربين والمشتغلين بمجال الأدب الطفلي، وذلك لتنوعه وثراء إبداعاته واختلاف أشكاله ولغاته التي تتراوح بين الفصيح والعامي في مختلف لهجاته، فقد تكون المقطوعة الشعرية المقدمة للطفل قصصية فتنمي فيه ملكة التصور والخيال (كالقصص الشعرية في ديوان شوقي للأطفال)، وقد تكون من الشعر الغنائي الذي يخاطب إحساس الطفل وفكره، فترتفع به أصوات الأطفال إنشادا في مختلف المناسبات الوطنية والدينية، وقد تكون شعرا مسرحيا يمثله الأطفال على خشبات المسرح المدرسي، أو قد تكون نوعا مخصوصا تتغنى به الأمهات لصغار السن ويعرف بأغاني المهد، وكل هذه الأصناف، وغيرها كثير، تشترك في غايتين رئيسيتين ؛ أولاهما تربية الطفل وتعليمه، وثانيتهما تنشئته تنشئة نفسية وعقلية سوية تمكنه من الاندماج الطبيعي مع أقرانه وسط مجتمعه.

وقد قسم المختصون هذا الشعر- تسهيلا لدراسته -إلى ثلاثة محاور كبرى:

أ/ شعر عن الأطفال، (يقال فيهم)

ب/ شعر للأطفال، (يقال لهم)

ج/ شعر بلسان الأطفال، (يقال نيابة عنهم)

ويندرج موضوع بحثنا أغاني الهدهدة والتنويم المعروفة كذلك بأغاني المهد ضمن الصنف الثاني؛ وهو الشعر الذي يقال للأطفال، ولكن قبل الخوض في هذا الموضوع علينا الإشارة إلى نقطتين أساسيتين تعتبران مرتكزا يقوم عليه البحث:

أولا: تعد أغاني الهدهدة من الأدب الشعبي الأصيل فهي جزء لا يتجزأ من الموروث، لذلك تعتبر أغنية شعبية بامتياز إلى جانب أخواتها من أغاني الختان والأعراس والمناسبات عامة، ولكننا سنتعاطى معها على أنها جزء من الأدب الطفلي الذي يصنف **ضمن شعر الأطفال.**

ثانيا: قضية انتماء شعر المهد للأدب الطفلي مطروحة من طرف عديد الباحثين، فهنالك الذين لا يعتبرونه من أدب الأطفال في شيء، ومن هؤلاء عبد الرزاق جعفر الذي يؤكد ضمن كتابه (أدب الأطفال):"أن أشعار الهدهدة والترقيص ليست من أدب

الأطفال شأنها في ذلك شأن أشعار الرثاء... إنها من الأدب الذي يتحدث عن الأطفال ولا يخاطب الأطفال أو يتجه إليهم."[01]

فعبد الرزاق جعفر يدرج أشعار الهدهدة ضمن الصنف الأول فيجعلها تُقال فيهم لا لهم، أي أن هذه الأشعار تتخذ من الطفل موضوعا لها. ولا توجَه، حسبه، للطفل لتحقيق غاية ما.

و يتصدى لأصحاب هذا الرأي من يفند زعمهم ويدحض مقالتهم ومنهم الربعي بن سلامة الذي يؤكد ضمن كتابه (من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي) أن أشعار الهدهدة من صميم شعر الأطفال لأنه " لا يمنع صغر سن الطفل من نسبة الشعر إليه، كما لا يمنع من ذلك كونه يعكس أو يعبر عن أمنيات الكبار أو تصورهم لما يحبون أن يكون عليه أبناؤهم وبناتهم في المستقبل، لأن الطفل يتفاعل منذ سن مبكرة مع موسيقى هذا الشعر، وإن كان لا يفهم معناه، ويتمتع بما فيها من إيقاعات."[02]

و يبدو من خلال الملاحظة العينية لفئة الأطفال صغار السن أن لموسيقى شعر المهد سحرا عليهم، فقد تنبهت الأمهات منذ القديم* أن الطفل يصغي باهتمام شديد إلى هذه الأغاني، فيتجاوب معها، حتى أنه قد يتوقف عن الاضطراب والبكاء ويميل إلى الهدوء والاسترخاء، فالاستسلام للنوم. فتكرار كلمات مخصوصة وفق نغم معين يعوّد الطفل على لون من الغناء يناسب وقت النوم.

كما أن مداومة الأم على الغناء لابنها في المرحلة الأولى من عمره (مرحلة المهد)، واعتياده على سماع صوت محادثه يجعله مهيأ للانتقال إلى المرحلة الموالية؛ حيث تبدأ الأم، أو غيرها، في سرد الحكاية.

إذن، فأغاني المهد حسب رأينا جزء لا يتجزأ من أدب الأطفال، حيث تعد مرحلة تمهيدية مهمة، تسبق مرحلة بداية استقبال مختلف الأجناس الأدبية وعلى رأسها الحكاية والقصة، كما أن هذه الأغاني والمنظومات الشعرية تعتبر اللبنة الأولى لـ " بداية تعلق الطفل بتراثه و موروثه الذي يعد خبز الشعوب وزادها، وتهيء الطفل و تجعله على استعداد لتقبل تراثه و موروثه الشعبي بمحبة و لهفة، وتلعب غريزة الطفل دورها في بحثه الدائم عن المعرفة وتعلم المزيد."[03]

هذا فضلا عن أنها تفسح مجالا خاصا(بكل ما يتضمنه هذا المجال من شحنات عاطفية تُختزل في علاقة أم/ إبن) للطفل ليحتك بلغته، سماعا، ويعتاد على فعل الخطاب ليمارسه مستقبلا.

وانطلاقا مما سبق سنحاول التعرف على ماهية هذه الأشعار/ الأغاني في لغة تداولها، معتمدين في ذلك على القراءة السياقية، التي ستعيننا على تصنيفها وتحديد مضامينها، ومحاولة ربطها بسياقاتها النفسية والاجتماعية والتاريخية، كما أننا سنتعرف عليها باعتبارها خطابا أدبيا طفليا قبل أن تكون خطابا شعبيا، لنكشف عن مدى قدرتها على استيعاب عالم الأمومة والطفولة. ونستوضح الدور الذي تقوم به هذه الأغاني في حياة الطفل، وهل هي ضرورية كبقية الأجناس الأدبية الأخرى، أم أنها تستمد قيمتها من فلكلوريتها لا غير؟***

يعرف هذا الشعر (أغاني المهد)الذي تتقاطع فيه الممارسات الفلكلورية مع الأدب الفصيح بأنه "الترنم بالكلمات الموزونة التي تصحب عادة مداعبة الطفل وملاعبته وتحريكه في المهد لينام، وهو جزء من الغناء الفلكلوري العام المجهول النشأة؛ الذي جرى على ألسنة العامة من الناس في الأزمنة القديمة ثم تورّث جيلا بعد جيل طوال فترة من الزمن امتدت حتى تجاوزت عدة قرون".[04]

وقد أخذ هذا النوع من الغناء للأطفال عدة تسميات وأشكال فكان منه الهدهدة والترقيص والتنويم وترانيم الأطفال والتهاليل وأغاني المهد و"أغاني التهنين"[05] (تسمية استعملها الدكتور علي أحمد محمد ضمن بحثه الموسوم بـ"أغاني ترقيص الأطفال في الموصل" ويقصد بها الأغاني التي تغنيها الأم لطفلها أو لطفلتها وهي تهدهده كي ينام أو يكف عن البكاء أو تغنيها لملاعبته أو مداعبته وترقيصه وتعليمه الحركات البدائية البسيطة من سير وتحريك اليدين والتصفيق) و"أغاني التهويد"[06] (مصطلح يستعمل في البحرين ويقصد به أغاني الهدهدة)، وغيرها من التسميات العديدة التي تختص كلها بالشعر الذي يتغنى به للطفل لتحقيق غاية معينة. وقد حصر المختصون هذه الغاية في نقطتين:

أما الأولى فتشمل الشعر/الغناء الخاص بتنويم الأطفال وهو ما يطلق عليه الفرنسيون Berceuse، و الإنكليز Slumbersong. ويعرف عندنا بأغاني الهدهدة و التنويم.

وأما الثانية فتشمل الشعر/الغناء الخاص بملاعبة ومداعبة الطفل بمختلف الطرق دون أن يكون الغرض منه التنويم، فينظرون إلى الحركة التي تصحب الأغنية، "فأطلقوا على أغنية ترقيص الولد على الركبة Kneedand lingsong وعلى الأغنية التي يرفع فيها المرء نفسه ثانيا مرفقيه Chin chapper وعلى أغنية الملاعبة Play rime".[07]

وسيكتفي هذا البحث بعرض نماذج من النوع الأول فقط، وهو الشعر الخاص بالهدهدة والتنويم دون الترقيص. وإن كانت مهمة الفصل بينهما أمرا صعبا لتداخل النوعين معا، فهذه الأغاني لا تتضمن، في كثير من الأحيان، كلمات تساعدنا على تصنيفها.

ولكن قبل ذلك نتطرق للفظ الهدهدة بما أنه لفظ مصاحب وملازم لعملية تنويم الطفل.

الهدهدة كما ورد تعريفها في لسان العرب:

1 ـ هَدهَدَهُ: حرّكه كما يُهدهَدُ الصبي في المهد. وهدهدت المرأة ابنها أي حركته لينام. وهي الهدهدة. و في الحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم، أنه قال جاء شيطان فحمل بلالا، فجعل يهدهده كما يُهدهَدُ الصبيُّ، وذلك حين نام عن إيقاظه القوم للصلاة والهدهدة تحريك الأم ولدها لينام.

2 ـ وهدهد الشيء من علو إلى سفل: حدره.

3 ـ الهدْهَد و الهداهِد الكثير الهدير من الحمام، وفحل هداهد: كثير الهدهدة يهدر في الإبل، وهدهدة الحمام إذا سمعت دوي هديره، والفحل يهدهد في هديره هدهدة، والهدهد: طائر معروف وهو مما يقرقر، وهدهدته: صوته.[08]

ويتفق أصحاب المعجم الوسيط مع ما ورد في معنى (الهدهدة) في اللسان، حيث جاء فيه: هدهد الشيء حركه، ويقال هدهدت الأم صبيها: حركته حركة رفيقة منتظمة لينام، وهدهد فلان الشيء: حدره من علو إلى سُفل، والهدهدة صوت الهدهد وصوت هدير الحمام.[09]

ومن خلال ملاحظتنا للمعنى اللغوي للفظ (الهدهدة)نجد أنه متصل بالنوم فعلا وصوتا.

أما الفعل فيتعلق بالحركة التي تأتي بها الأم ـ باعتبارها المسؤول والمتصل الأول بالطفل ـ بشكل منتظم ومتكرر من الأعلى إلى الأسفل والتي تساعد الطفل على الاسترخاء والاستسلام للنوم، وقد تكون هذه الحركة مرتبطة بجسم الأم أو بالمهد الذي ينام فيه الرضيع.

وأما الصوت ـ وهو المعنى الثاني للهدهدة ـ فيتمثل في الأصوات و الألحان المتشابهة والرتيبة التي تشبه في تتاليها و رتابتها وتكرار نغمتها أصوات بعض الحيوانات وهذه الأصوات هي كلمات الأم التي تساعد الطفل على الاسترخاء والنوم.

أما اصطلاحا فتعرف أغاني الهدهدة/ المهد بأنها "همهمات هادئة تسير وفق نغمة رتيبة يصحبها غالبا تحريك الطفل أو بعض أجزاء جسمه، كالذراعين مثلا، واهتزاز الأم نفسها، أو من تحمل الطفل، هزات خفيفة تناسب إيقاع الهمهمة الذي تحدثه بفمها".[10]

وهذا النوع من الشعر وإن كان يندرج ضمن الأدب الشعبي ـ لأنه في الغالب نتاج قريحة الأمهات والجدات ـ إلا أننا نجد من شعراء الأدب الطفلي من اهتم به وأبدع فيه ـ وإن كان قليلا لاختلاف الرأي فيه ـ فلم يغب عن كامل كيلاني أن يضمن ديوانه مقطوعات من أغاني المهد قد تكون كتبت خصيصا للأمهات لتسهيل مهمة تنويم أطفالهن والتواصل الخطابي معهم، ولأن الكيلاني كان على دراية تامة بشريحة الأطفال التي يتوجه إليها بالخطاب جاءت هذه الهدهدات قريبة من عالم الطفل لفظا و موسيقى.

ومن نماذج ما ورد في الديوان مقطوعة عنونها بـ: "أغنية المهد"، يقول فيها على لسان الأم:[11]

ناما ـ حبيبيَّ ـ ناما واستقبلا الأحـلاما
نُورا وحُسنا وروضا مُعطّرا بسَّامـا
تَحايَل الورد عُـجبا وفَتَّـحَالأكـماما
والطّيرُ أنشد لحـنا فأبـدع الأنغـاما
ناما – حبيبيَّ – ناما واستقبلا الأحـلاما
ناما هنيئا وقـوما معي إذا الطيـر قاما
عيشا بأسعد عيـش رَغـادةً وسـلاما

....

وهناك مقطوعة أخرى جاءت على لسان أم لثلاثة سناجب، لامع وساطع والبَرَّاق، تحمل عنوان "أسرة السناجب"، يقول فيها:[12]

....

نم آمنا يا "لامعُ" نم آمنا يا"ساطع"
يا أيّها "البرَّاق" نم وُقيتُم كلَّ ألم
وأشرقت أيّامكم وسَعدَت أحلامكم
وساعَفَتكم المنى بكلِّ أسباب الهنا

ويمكننا تمييز هذه الأغاني التي تعد من الأدبيات الشعبية المنتشرة عند كل الأمم في اللهجات الجزائرية العامية من كلماتها الافتتاحية، وأحيانا الختامية، التي تدل عادة على فعل النوم أو ما يتعلق به أو ما يدل عليه في لغة الطفل كلفظة " نَنّي"، مثلا، أو "قُوق gug" وهي كلمة أمازيغية تقولها الأم لتهدئة الطفل وجعله ينام.

ومن بين النماذج التي نرصد فيها استعمال الفعل "ننى" هذه الهدهدة الشهيرة في القطر الجزائري والتي تنسب لمنطقة بسكرة:

نَنَّي ننى يا بشا واش نديرو للعشا
انديرو جاري بالدبشا وندي بابا يتعشا

وقد تتغير كلمات الهدهدة ارتجاليا من منطقة إلى أخرى أو من أم إلى أخرى أثناء عملية التداول، فالهدهدات، ككل الأدب الشعبي، لا تعرف الثبات ولا الاستقرار على حالتها الإبداعية الأولى، فهي مرنة تتعدل باستمرار لمواجهة مختلف السياقات الجديدة التي تفرض الاختلاف، وهذه المرونة، كما يرى محمد مرسي، هي "التي تساعدها على أن تظل محفورة في ذاكرة الناس".[13]

فنجد عجز البيت الثاني من الهدهدة السابقة يصير:

انديرو جاري بالدبْشا ولا نَعْمَة بالكَرْشا

أو يتغير إلى:

انديرو جاري بالدبشا لوليدي يتعشا

وقد تستبدل كلمة " بابا" و " وليدي" باسم الطفل.

ومن تغييراتها كذلك قول الأم:

ننـي ننـي يا بشّا ويجي بابا يتعشا

ويعطينا دُورُو دُورُو نشْرُو كبش بقرونو

ونجد عند جيراننا في تونس ما يشبه هذه الأغنية الجزائرية في افتتاحها بفعل الأمر "ننـي":[14]

ننـي ننـي جاك نْعاس

أمّك فضّا و بُوك نْحـاس

ننـي ننـي جـاك النوم

يا خـدّين بـو قَرْعُون

وهذا نموذج ثان لنفس الأغنية التونسية ولكن بكلمات مختلفة:

ننّي ننّي جـاك النوم

أمك قمرة و بوك نجـوم

ننّي ننّـيننـّي

يجـعـل نومـك متهنّي

وبما أن شعر الهدهدة جزء لا يتجزأ من الفلكلور الشعبي فإنه تنسحب عليه نفس خصائص الأغنية الشعبية، خاصة من ناحية الانتشار مشافهة، فالانتقال عن طريق الرواية الشفهية " أوجد نصوصا عديدة للأغنية ذاتها في إطار المجتمع الواحد".[15] وحتى خارجه، كالنموذج السابق المتداول في الجزائر وشبيهه في تونس.

وفي هدهدة أخرى كذلك تفتتح الأم غناءها بفعل"ننـي"، وهو الأكثر استعمالا لمحاكاته صوت الصغير، حيث تقول:[16]

ننّي ننّي أَذِيـبْ أمك هَربَت عند الشِيبْ

خلات الكَسْرة اطِيب والبقرات بلا حليب

ننّي ننّي يا لحْبيب تَكْبر و تولي طبيب

يذكر عبد القادر نطور ـ بعد أن أثبت نص هذه الهدهدة في دراسته المعنونة بـ (الأغنية الشعبية ودورة الحياة)ـ أن بعض أغاني الأطفال ترتبط بأساطير موغلة في القدم ذات دلالات عقائدية حافظ الزمن على بقاياها من خلال كلمة أو عبارة في بنية الأغنية."[17] ويرجح الباحث أن تكون هذه الهدهدة•

محملة بموروثات قديمة، كما أنها تشير إلى حيوان الذئب الذي له مدلولات متنوعة في الذاكرة الشعبية.

وبالحديث عن الأساطير القديمة نجد الأم المبدعة تستعير شخصية أسطورية تَرَدَد ذكرها في الموروث الفلكلوري العربي لتضمنها في هدهدتها و هي شخصية الغول، هذا الكائن الخرافي المخيف الذي تتوسله الأم لتخيف به طفلها حيث تقول:[18]

ننّي ننّي يا بَرْبُول رر ويَماك راحتْ تجيب الفُول

ويحكَمها ذاك الغُول وياكللها ذاك البَزُول

بَمَاه اضَاضَعْ يا لمَغْبُون

وهذه الأغاني وإن كانت في ظاهرها تستعمل لتأدية وظيفة معينة، هي تعويد الطفل على فعل المحادثة والاستماع إلى نوع من الخطاب المخصوص الذي يؤدى بطريقة مخصوصة لغرض تهدئة الأطفال ودفعهم للاستسلام للنوم، فإن الأم جعلت منها كذلك متنفسا لما يختلج في داخلها من أحاسيس وما يراودها من أفكار ومخاوف، فتأتي هذه الأغاني متضمنة للشكوى، حين تعبر الأم / المبدعة فيها عن أحزانها فتشتكي من قساوة الزمن أو الأهل أو حالتها المعيشية الصعبة، خاصة وقت الاستعمار الفرنسي، وقد تتضمن تعبيرا عن الحب، حين تجعلها منطلقا لمشاعرها تجاه وليدها أو حفيدها أو زوجها الغائب، وقد تتجاوز بها الحاضر إلى المستقبل من خلال تكهنات وأمنيات لطفلها بمستقبل زاهر ومشرق، وحياة سعيدة هانئة، وقد تخصصها للذكر والتسبيح والتوسل بالأولياء لغرض تحصين الطفل وحمايته من حاسديه.

ويجمل لنا أحمد أبو سعد ـ في دراسة قام من خلالها بتتبع أغاني المهد عند مختلف شعوب العالم ـ المعاني المختلفة التي تحملها أشعار المهد والتي يرى أنها مهما تكن لغتها ويكن لحنها فلا بد أن تدور عند جميع الأمهات حول المعاني التالية:[19]

ـ الرجاء للولد أن ينام نوما هادئا بحراسة الله والملائكة والرسل وجميع القديسين.
ـ إعطاء الوعد للطفل بإحضار هدية أو مكافأة له إذا نام.
ـ إشعار الطفل بالخوف إذا لم ينم.
ـ إبداء الإعجاب بالطفل وتعداد صفاته وبثه الحب.
ـ التنبؤ بمستقبل حسن للطفل.
ـ تعليم الطفل بعض الأمور عن طريق الغناء له.

وسنحاول من خلال استعراض بعض النماذج أن نكشف عن بعض هذه المعاني في أغاني المهد الجزائرية، و نبدأ من ولاية أم البواقي و تحديدا منطقة عين البيضاء، حيث تغني الأم هذه الهدهدة التي تقول فيها:[20]

أمُّو، أممو
ياعْمارَة دار أمُو
جاب التمر في كَمُو
ويقولها خَي يامَرتي
لاتشوفني وَالدْتي
وتْحَاشَمني أنا ونت
يا الطُلبَة يا العُلاما
وليدي دَزْ برية
سَرحُوني نْروح ليه
لَنقتل روحي بيدِيا
الله الله ربي لا حال يدوم
يرقد بابا وليدي
ويجيه النوم.

يبدو لنا من خلال هذه الهدهدة أن مبدعتها الأولى هي الجدة ـ لا الأم ـ الأمر الذي يعكس لنا بوضوح تكوين الأسرة الجزائرية في ذلك الوقت، حيث يبدو الارتباط الأسري الوثيق الذي تتحدد بموجبه المشاعر القائمة بين الجدة وأبنائها وبينها وبين أحفادها، وتعد

الجدة عنصرا مركزيا في الأسرة الكبيرة، فقد ساهمت منذ القديم في تشكيل ثقافة الطفل، ولعبت دورا أدبيا مهما من خلال إبداعاتها الشعرية ـ المتمثلة في الهدهدة ـ وإبداعاتها النثرية، المتمثلة في فن الحكي الذي أتقنته بامتياز، فساهمت بقدر عظيم في تكوين أجيال وترك الأثر العظيم فيهم، (كما هو حال الأستاذ مالك بن نبي الذي نقل لنا من خلال مذكراته صورة عن علاقته بجدته " الحاجة باية").[21]

في هذه الهدهدة تخاطب الجدة حفيدها وتحكي له عن معاملة والده لها، وكيف أن قلبه تحول عنها وصار لغيرها، وتقصد زوجته التي يحمل لها التمر خلسة، ويطلب منها أن تداريه عن عين أمه حتى لا تغضب هذه الأخيرة عليهما معا، ونحن نعلم من الموروث الإسلامي ما يترتب عن غضب الأم، وعن التبعات التي تلحق بالمغضوب عليه.

ثم تنتقل الجدة ضمنيا إلى موضوع آخر وهو تلقيها لبرقية من ابنها (وليدي دز برية) الذي أخذه جند الاستعمار، وما من وسيلة للتواصل وقتئذ إلا الرسائل، فتستأذن الشيوخ (الطلبة والعُلامة) لزيارته و تهدد بقتل نفسها إن لم يأذنوا لها بالذهاب، ثم تنهي الجدة حديثها بالعودة إلى غرض الهدهدة الأصلي وهو جلب النوم لحفيدها.

وعلى الرغم من أن هذه الهدهدة صيغت في ظروف معينة وعبرت عن سياقات لم تعد الآن موجودة إلا أنها لا زالت متداولة لحد اليوم، ترددها أمهات وجدات منطقة عين البيضاء على الرغم من أنها لا تعكس اليوم شيئا من حمولتها الدلالية الأصلية.

تعد هذه الهدهدة ترجمة صادقة لواحدة من العلاقات الاجتماعية السائدة في الأسرة الجزائرية (علاقة الابن بزوجته وأمه) وكيفية تفاعل الأطراف ضمن هذه العلاقة في فترة زمنية مخصوصة، فالهدهدات "ذات علاقة بالموقف الاجتماعي من الأولاد والنساء وهي تحمل من الدلالة على مجتمعها الذي نشأت فيه و أخلاق أهلها وعاداتهم ما لا يحمله الشعر المتقن أو الرسمي".[22]

وهذا ما نلاحظه على الكثير من أشعار المهد في الجزائر ـ التي لازالت متداولة لحد اليوم في مختلف مناطق القطر ـ وخاصة تلك التي وضعت إبان فترة الاستعمار الفرنسي. كهذه الهدهدة الشهيرة التي تتغنى بها الأم الشاوية الآريسية معبرة من خلالها عن فخرها لاستشهاد زوجها ومتنبئة بمستقبل حالم لطفلها فتقول:[23]

سُوسَم أمَمِي برْكاكِإِيمْطاوَنْ
سُوسَم أمَمِي وَذْيالي واسْ
سُوسَم أمَمِي بَرْكاكِإِيمْطاوَنْ
سُوسَمأمَمِي وَذْيالي واسْ، وَذْيَالي واسْ، وَذْيالي واسْ. وذْيالي واَسْ...
أكْرَدْ أمَمِي
وأكْرَدْ أنْقيرْ
بَاباَك يَمُوتْ
فَتْمَذْرَانْنَتْمُورَتْ، فتمَذْرَانْنَتْمُورَتْ.
أكَرَدْ أمَمِي
أكْرَدْانُقِيرْ
باباك يَمُّوتْ
فَتْمَذْرَانتْمُورَتْ، فَتْمَذْرَانتْمُورَتْ.
أَذِقَعْمَرْمَمِي
وذْيعَاذْذارْقازْ
أسِدّاويغْأسْليثْأذِ سَاو أَخَامَتْ
قُوقْأمَمِي قُوقْ
قُوقْ أمَمِي قُوقْ
قُوقْ أمَمِي قُوقْ
المعنى:
أسكت يابني، توقف عن البكاء
أسكت يا بني سيطلع النهار
انهض يابني
انهض نمشى
أبوك مات في سبيل الوطن، في سبيل الوطن، في سبيل الوطن
انهض يا بني

انهض نمشي
أبوك مات في سبيل الوطن
عندما يكبر إبني و يصير رجلا
أحضر له زوجة وتصبح له عائلة
إهدأ يا بني إهدأ
إهدأ يا بني إهدأ
إهدأ يا بني إهدأ

وقد اتخذت الأم الشاوية من هذه الهدهدة متنفسا لها، فغيرت كلماتها، وطوعتها لتحمل آلامها وأحزانها بطريقة آسرة، فأبدعت من خلالها في رسم صور الحزن، وفجرت أحاسيس الشجن، فتطالعنا من خلالها وهي تهدئ ابنها الرضيع"علي" وتحاول تنويمه، وهي تذكره أو تذكر نفسها بأن زوجها قد غادرهم لأجل أجنبية غريبة "ثاروميث أو رومية "، فتغني بلحن هادئ:[24]

سُوسَمْأَعْلَيْ، سُوسَمْ أَمِي (لا تبك يا علي، لا تبك يا بني)
وَنَقْأَعْلاوْإِيبَابَاكْ (سننسج برنسا لأبيك)
بَابَاكْ أيرُوحْيَبَعْذَاكْ (أبوك الذي ذهب وتركك)
وَنَقْأَعْلاَو ذُو قَشابِي (سننسج برنسا و قشابية)
بَابَاكْ أيْرُوحْ يَنْتَعْلغْوَابِي (أبوك الذي ذهب جهة الغابات)
بَابَاكْ أيْرُوحْيَبَعْذَاكْ (أبوك الذي ذهب وتركك)
يويثارُومِيثْ يَدْجَا يَمَاكْ (استبدل أمك بالرومية)
أَنْقْأَعْلاَو ذَالمَالْفْ (سننسج برنسا من الملف)
يَمَاكْ ثِيلْ و ثَتْشَفْ (أمك التي تبكي وتثير الشفقة)

تمكنت المبدعة الأمازيغية، وقت الاستعمار، من وضع هدهدات استوعبت مشاعرها، وعبرت عن حزنها، وحملت شكاياتها، وترجمت أحلامها، فعبرت من خلالها عن حاضرهاحين رسمت لوحات مختلفة عن الزوج الذي مات مستشهدا، أو الذي تركها وغادر مع الأجنبية، أو حين هاجر إلى فرنسا، وعبرت عن مستقبلها الذي تراه في

"ابنها الرجل" الذي سيكبر ويتزوج، وعبرت عن ماضيها من خلال هدهدة أخرى لا تقل شهرة وذيوعا عن سابقتيها وهي" قُوقْ أَمي قُوقْ"، والتي تعِد من خلالها ابنها أنه إن هدأ ونام ستصنع له من الحبال أرجوحة ترفعه عاليا، وستحمله إلى الجبال على ظهر حمار عجوز، حيث كانت تلعب وهي طفلة صغيرة.

وقد تتضمن الهدهدات شكايات متنوعة تختلف باختلاف سياقاتها، وتكون غالبا متضمَنة في ثنايا مواضيع أخرى أو قد تكون مستقلة، فنجد شكاية الأم من الآخر المستعمر الذي ظلمها وافتك منها فلذة كبدها، فَصَدى هذه الأم المكلومة لا يزال يترد إلى اليوم على ألسنة المهدهدات في مناطق متعددة من الجزائر، وقد تكون الشكاية من الزوج الذي غادر لسبب أو لآخر و تركها تكابد مشاق الحياة لوحدها، وقد تكون على لسان طفل يتيم ماتت أمه و تركته لزوجة الأب التي لم تحسن إليه، ولم ترحمه.

وقد تعبر الأم، كذلك، من خلال شعر الهدهدة عن فرحة عارمة وهي تنوم وليدها الذي تراه يكبر أمام عينيها يوما بعد يوم، أو ربما يكون مجرد متخيَل تتمناه مستقبلا فتغني الأم الحروشية (منطقة سكيكدة) مرددة:[25]

أيْ سَعْدي يَانَا بوليدي كْبرْ
لَحيتُوصَرْصَارَة و الشَلْغُوم شْبَرْ
أيْ سَعدي يانا صَاحَبْ بن حَيونْ
هَذاك وليدي يغْسَلْ بالصابُونْ
أي سَعدي يانا صَاحبْبْعِيبَشْ
هذاك وليدي عَالزَرْقا ينبشْ
أي سَعْدِي يانا راحْ عَندْعَمتُووكْلَتُو الشْحَمْ
راح عند خَالتووكلتو اللحمْ

نلحظ من خلال هذه الهدهدة كيف تتجلى سعادة الأم، وهي تتصور ابنها رجلا، على الرغم من أن الخطاب موجه لصغير قد لا يفهم ما يقال، فتتمثله الأم نموذجا للرجولة من خلال صفات جسدية مخصوصة عملت على تضخيمها (اللحية والشوارب. ضرضارة وشبر)، كما أن ابنها يصادق علّية القوم، فهو رفيق ابن حيون وبعيبش(قد تكون

ألقابا لعائلات مرموقة في ذلك الوقت)، ثم تتمثله يعيش حياة رغدة منعمة، فيمتلك هذه المادة العزيزة النادرة التي لم تكن متاحة لكل الناس وقتئذ، وإن توفرت فاستعمالها يكون مقصورا على المناسبات الخاصة، وهي مادة الصابون النفيسة. وترى الأم ابنها، هذا الفارس الجزائري الهمام وهو على ظهر "الزرقا"* هذه الفرس الأصيلة التي تعزّ على العامة، ونتيجة لفقر الجزائريين وقت الاستعمار فقد كان تناول "اللحم والشحم" ترفا بالغا لا يكاد يتوفر إلا في بيوت معينة، فتتمثل الأم ابنها، وهو ينتقل بين بيت الخالة والعمة فيكرمنه بتقديم هذه المادة الغذائية الثمينة.

تتكشف من خلال هذه الهدهدة عاطفة الأمومة، مشيعة في النص جوا من الحب والغبطة والتطلع إلى المستقبل بروح متفائلة، فكثيرا ما تفسح الأم مجالا لتحمل الهدهدة أحاسيس داخلية مفعمة بمشاعر الحنان والحنو على الرضيع، فهذا الكلام نابع من شغاف قلب أم تنظر إلى وليدها وترى مستقبله الزاهي ماثلا أمامها.

ومثيله قول هذه الأم السكيكدية التي تغطي ابنها وهي تنومه:[26]

يا بَرْبُولْ يا بَرْبُولْ نْبَرْبُرْكْ و نغَطِيك
نْبَربرَك ونغطيك ونْحَسْ قَلْبِي يَفْرحْ بيك
أفرْحُوا يا الفَلاحَة والقَمْحْ يعود فرْيك
يا لبَرْبُولْ يالحَجْلَة جِيبْ النُوم بالعَجْلَة
جِيبْ النُوم لوليدِي يتْعشَى ويتهَنى
يابرَبُولْ يا بَربُولْ جِيبْ النُوم يَرحَمْ بُوكْ

ونلحظ من خلال هذه الهدهدة كيف استعانت الأم بالحيوان، وخاصة طير الحجل لجلب النوم للولد، ونجد هذا الطير يتكرر ذكره في هدهدة مسيلية حيث تردد الأمهات في هذه المنطقة:[27]

بْرِيرِيَة يا بْرِيرِيَة والمَغْزة جَابَتْ حْوِيلِة
بَرّي بْريتْ الحَجْلة يْجِيكْ النُوم بالعَجْلَة
بَرّي بْرِيتْ الزَيْطُ وطْيجِيكْ النُومْ خْيُوطْ خْيُوطْ

وربما يعود هذا التقارب بين الهدهدات إلى البيئة الفلاحية المشتركة بين المبدعات التي تظهر جلية من خلال الألفاظ التي تندرج ضمن هذا الحقل الدلالي الواحد، حيث ورد في الهدهدة الأولى ذكر للفلاحة والقمح ولطور من أطوار نموه" الفريك"، و ورد في الثانية ذكر لحيوان الماعز وصغيرها "الحولي" وكذلك لفظة "الزيطوط" التي لها في الجزائر دلالتان، أما الأولى فتدل على طائر يكثر الصراخ وهو من الطيور البرية التي تصطاد كطير الحجلة، وأما الثانية فهي عشبة برية تستعمل في العلاج وتعرف في الجزائر باسم "البَرْوَاق أو البَرْوَقْ"ونرجح المعنى الأول للمشاكلة الحادثة بين البيتين الثاني والثالث.

ومن ألوان الهدهدة الموجودة كذلك في الجزائر، على غرار البلدان العربية الأخرى، أغاني الذكر أو ما يعرف بالتسبيحات، و تكون عادة لتحصين الطفل من عيون الحاسدين، وذلك بذكر الله وتوحيده أو التوجه إليه بالدعاء والتضرع، والصلاة والسلام على الرسول المصطفى.

وتختلف هذه التسبيحات من ولاية لأخرى وإن تشابهت جميعا في قصرها وتكرارها أثناء تأديتها، ومن نماذجها ما تردده نساء المسيلة:[28]

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، والله ربي الله

جيناكم جيناكم ما فرحتو بمجينا

حين فارقناكم ما بكيتو وما بكينا،

لا إلاه إلا الله، لا إلاه إلا الله.

أهل الخير سيادي.

وتردد نساء منطقة الحروش:[29]

صليو على محمد يا ناس الذاكرين

صليو عليه وسلموا يشفع للمومنين

ويرددن كذلك تعبيرا عن همومهن و تأكيدا على تمسكهن بالله:[30]

نَتْشَكَاو نَتْبكاو مانلقَاش في دَرْكِي،

لا فَكَا ولا هَرْبا،

بخْلافَكْ أسيِدي ربي.

وقد تتضرع الأم لولي صالح كي يحفظ فلذة كبدها، وهو يعكس ما كان يسود المجتمع خلال العهد الاستعماري من فكر خرافي ومعتقدات فاسدة، حيث تعتقد الأم أن حجاب الشيخ يحفظ ولدها، ويحميه من كل سوء، فتقول:[31]

سيدِي علي لحْبِيب احْجَبْ لي حْجِابْ كبير

احْجَبْ لي على وليدي حتى يعُود شَايبْ كبير

وقد تمزج المهدهدة بين ذكر الله وتقديم وعد للطفل بإحضار هدية قيمة إن استسلم للنوم، حيث تغني الأم القالمية:

اللهْ الله، اللهْ أللْ،

والطُلبَة راحوا للتَل

جابوا كبْش وعَلُوشَة

سمين سمين ياكلو "اسم الطفل" بلا سنين

وبهدية مختلفة تعد الأم في ولاية أم البواقي ابنها؛ حيث تغني:

الله الله، الله أللْ

والطلبَة راحوا للتَل

جابوا عَرجُون مْخَبل

فيه الدَقْلَة فيه التمَر.

ونلحظ أن هذا النوع من هدهدات التسبيح بعيد كل البعد عن الطفل وعن لغته، فالأم لا تعبر من خلال مضمونه عن رغبتها في تنويم الطفل، وإنما تعبر عن احتياجات نفسية خاصة، ربما كانت وليدة الواقع الذي عاشت فيه. وهذا ما دفع بالكثير من الدارسين إلى إخراج هذا النوع من الشعر من أدب الأطفال.

وفي مقابل هذا النوع هناك نوع آخر أكثر التصاقا بعالم الطفل، وروحه المرحة، ولغته الصغيرة، كهذه الهدهدة التي تقول فيها الأمم حاكية صوت الصغير، فتدخل تنويعات صوتية حينا وتصغر اللفظة حينا آخر:[32]

ثِيثَا ثِيثا ثِيثا، بابا جاب حْويتَة، مَقلِيا في زْويتا

والطجين يتشْتَشْ

والقَطُوسيمشْمَشْ
يمشْمَش في لْخِيماتو ويْخَلي عْظِيماتُو.

***

وفي آخر هذه الورقة يمكننا الخروج بمجموعة نتائج وملاحظات وأفكار نجملها في النقاط التالية:

1/ تحمل الهدهدات في طياتها شحنات عاطفية تتنوع بين السلبية والإيجابية، وهذا ما يتحدد من خلال موضوع الهدهدة نفسه.

2/ تتخذ الأم من الهدهدات وسيلة ناقلة لمشاعرها و تطلعاتها المستقبلية. كما أنها تلعب دورا مهما في نقل التفاعلات الاجتماعية والأسرية التي كانت سائدة بشكل من الأشكال وقت إبداعها.

3/ إن هذا النوع من الأدبيات الشعبية يعد تمهيدا لمراحل أخرى تأتي بعده، حيث أنه يجمع بين طرفين، باث/ الأم و متلقي/ الطفل، فهو إذن يهيئ الطفل ويعده لاستقبال المزيد من الخبرات التي تكيف مع مراحل عمره.

4/ أغلب الهدهدات المتداولة (أي التي ذاعت وانتشرت على ألسنة الناس) هي هدهدات قديمة تم إبداعها في فترات زمنية متفاوتة، وخاصة في فترة الاستعمار الفرنسي. فلا نجد اليوم هدهدة جديدة متداولة تم إبداعها حديثا، وإن وجدت فهي محصورة داخل نطاق الأسرة الواحدة ولم تعرف بعدُ الذيوع، فيمكن لكل أم أن تهدهد بما تشعر به أو بما يجري على لسانها من كلامها الخاص، ودليل ذلك أننا وقفنا على هدهدات يصعب تفسير سبب نظمها أو الكيفية التي اجتمعت بها معانيها بهذه الشاكلة، من ذلك قول الأم المسيلية:[33]

دَزْ النخلة دَزْ، والله ما تَدَزْ،
غالجَا مُولاها، واعْطِاني كراها.
كراها صاع شْعير.
نَدِي لمّا مريم، تْلُوحْ لِي لفطِير
فُوق واش نْطِير.

نطير فوق الكُوشَة،
ونعيط يا كَحلوشَة، تفتلي البَرْبوشَة.
جا الكلب يهُوش،
قطع لي البَرنوس،
فاطمة و رقية تْعَافرُوا على الرومية.

فنلحظ فيها كثرة المعاني التي تبدو مشتتة ولا تجمع بينها علاقة دلالية معينة وواضحة. وقد يصعب علينا أن نستنتج ـ دون تأكيد من نساء المنطقة ـ أنها هدهدة، فلا تتضمن من المعاني ما له علاقة بفعل التنويم. كما أنها كثيرة الأفعال الدالة على الحركة والحيوية (دز، أعطاني، ندي، تلوحلي، نطير، نعيط، تفتلي، جا، قطعلي، تعافروا) الأمر الذي لا يتناسب والهدوء والاسترخاء الملازمين لتنويم الطفل. وبالتالي يمكننا أن نستنتج أن هذا النوع من الأغاني يعول فيه على الموسيقى أكثر مما يعول على المعاني.

5/ يعد الجانب الموسيقي من أهم مكونات الخطاب الشعري حتى قيل إن الشعر موسيقى ذات أفكار، لذلك نجد المهدهدة أحيانا قد تعمد إلى ارتجال كلمات وصياغة جمل لا تخدم المعنى (كالهدهدة المسيلية وغيرها)، وذلك بغرض الحصول على الإيقاع الموسيقي، فتعزف نغما تلذّه الأسماع ويطرب له الصغير، فيهدأ وينام. فقد أدركت المهدهدة سلطة الموسيقى، فلم تهمل هذا الجانب في إبداعها.

6/ تختلف دلالات الهدهدات وتتنوع وفقا لغرضها وحالة منشئها، فقد تحمل دلالات دينية مستوحاة من موروث الأمة، وقد تكون اقتصادية تُذكرُ فيها الفلاحة والأرض ومتعلقاتها كمصدر أساسي للحياة، وقد تكون اجتماعية تظهر من خلالها العلاقات التي تجمع بين أفراد الأسرة، أو تصور حالة معينة كاليتم مثلا، وقد تكون ميتافيزيقية فتشير إلى بعض الأساطير القديمة أو تستحضر عناصر أو شخصيات خرافية كالغول، وقد تكون الدلالة وطنية، فرضها الظرف الاستعماري ولكنها تُصوَر في الغالب حالة مأساة فتبكي الأم على زوجها المستشهد، أو ابنها المجند...وغيرُها كثير من الدلالات التي يمكن أن تستوعبها الهدهدة.

7/ تعد أغاني المهد ـ إلى جانب أخواتها من الأغاني الشعبية الطفلية ـ منهلا يتعلم منه الأطفال لغة التواصل، من مفردات وتراكيب لغوية، إلى جانب تنمية المشاعر الاجتماعية المشتركة بين أبناء البيئة الواحدة، ومصدرا لإنماء مخزونهم المعرفي المُجتمعي، والتعرف على بعض عادات المجتمع ومعاييره، ومن خلالها قد تتشكل في ذهن الطفل تصورات دينية ومعتقدية واجتماعية.

ولكن الكثير من هذه الأغاني المتداولة اليوم والتي تحفظها الجدات وبعض الأمهات، تجاوزها العصر و لم تعد صالحة لقيم مجتمع اليوم، بل على العكس إذا تشبع بها الطفل قد تعود عليه بالضرر الفكري والنفسي، أو على الأقل يراوح مكانه دون أن يكتسب منها شيئا، و لذلك نحن بحاجة إلى البديل الملائم لمتطلبات عصرنا الحاضر سواء أكان هذا البديل إبداعا باللهجات المحلية، أم إبداعا فصيحا.

ولا يُحمل هذا الكلام على وجه التقليل من أهمية هذه الأغاني المصاحبة لفعل الهدهدة والتنويم ولكن على مبدع هذه الأغاني، بما أنها جزء من أدب الأطفال عامة والشعر خاصة، مواكبة العصر على غرار كل أجناس الأدب الطفلي.

الإحالات:

[01]- جعفر، عبد الرزاق. أدب الأطفال. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. 1979م. ص 236.

[02] - بن سلامة، الربعي. من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي. ط1. قسنطينة: دار مداد 2009م. ص92، 93

* أورد أحمد سويلم ضمن كتابه"أطفالنا في عيون الشعراء" عديد النماذج من أغاني المهد التي كانت تتغنى بها الأمهات العربيات ـ وحتى الآباء ـ قديما. منها هدهدة هند بنت عتبة زوج أبي سفيان التي تهدهد ابنها معاوية بقولها:

إن بنـيّ معـرقٌ كـريم محبّبٌ فـي أهله حـليم / ليـــس بفاحش ولا لئيم ولا بطخـرور ولا شئـوم

صخر بني فهر به زعيم لا يخلف الظن ولا يخيم

الطخرور: الضعيف. يخيم: يجبن (ص 112) . ومنها قول أعرابي يهدهد ابنه:

يا حبذا روحه وملمسه / أصلح شيء ظله وأكيسه / الله يرعاه ويحرسه. (ص 110)
(ينظر: سويلم، أحمد. أطفالنا في عيون الشعراء .ط2..القاهرة: دار المعارف. 1987م)

[03]- عبد الله، علي. "وظيفة اللحن الشعبي في غناء الطفولة"، مجلة الحياة الموسيقية، سوريا: تصدر عن وزارة االثقافة، مديرية المسارح والموسيقا. العدد 35. 2005م. ص9.

[04]- أبو سعد، أحمد. أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي. ط2. دار العلم للملايين. 1982م. ص19.

[05]- محمد، علي أحمد. "أغاني ترقيص الأطفال في الموصل (الموضوع والدلالة)". دراسات موصلية.جامعة الموصل. العدد 19. 2008م. ص56.

[06]- ينظر: الباطني، بزة. " من أغاني المهد في البحرين" مجلة الثقافة الشعبية. العدد09. البحرين: أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر. 2010م. ص148- 195.

[07]- أبو سعد، أحمد. مرجع سابق. ص20.

[08]- ابن منظور. لسان العرب. ج6. ط3. مصر: دار المعارف. دت.مادة(هدهد).

[09]- المعجم الوسيط.ج2. ط2. مصر: دار المعارف.1972م.مادة(هدهد).

[10]- أبو سعد، أحمد. مرجع سابق. ص20.

[11]- كيلاني، كامل. ديوان كامل كيلاني للأطفال. ص28. نسخة الكترونية محملة عن موقع صفحات. الرابط: http://www.safahat.org

[12]- نفسه. ص29.

[13]- مرسي، أحمد. الأغنية الشعبية. مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. 1970م. . ص13

[14]- أبو سعد، أحمد. مرجع سابق. ص 22

[15]- مرسي، أحمد. ص13

[16]- ينظر: نطور، عبد القادر. " الأغنية الشعبية ودورة الحياة- أغاني الطفولة في الشرق الجزائري". دراسات أدبية. ص 327.

[17]- نفسه.ص ن.

* هذه الهدهدة تغنى كذلك في ولاية قالمة مع اختلاف طفيف في الكلمات حيث تفتتح بالفعل (أرقد) بدل ننى والفعل (راحت) بدل هربت.

[18]- رواية السيدة زروق ياقوتة (70 سنة). ولاية سكيكدة.

[19]- ينظر: أبو سعد، أحمد. مرجع سابق. ص ص 23- 41.

[20]- رواية السيدة زياد مليكة (63 سنة). ولاية أم البواقي، عين البيضاء.

[21]- ينظر: بن نبي، مالك. مذكرات شاهد القرن. ترجمة: مروان القنواتي.ط1. بيروت: دار الفكر، 1969م. صص 10، 11.

[22]- أبو سعد، أحمد. مرجع سابق. ص 107.

[23]- رواية السيدة علجية أحمد (62 سنة). ولاية باتنة، آريس.

[24]- نفسها.

[25]- رواية السيدة زروق ياقوتة. ولاية سكيكدة.

* صارت (الزرقا) مضربا للمثل في الشرق الجزائري حيث يقال: " تَرخْصي يا الزرقا ويركبوك بني عداس"، يضرب هذا المثل للشيء أو الأمر الغالي الذي يصبح في متناول عامة الناس، وكان قبل ذلك عزيزا.

[26]- رواية السيدة زروق ياقوتة. ولاية سكيكدة، الحروش.

[27]- رواية السيدة كريم فاطمة (78 سنة). ولاية المسيلة.

[28]- نفسها.

[29]- رواية السيدة زروق ياقوتة. ولاية سكيكدة

[30]- نفسها.

[31]- نطور، عبد القادر. مرجع سابق.صص 321، 322.

[32]- رواية السيدة زروق ياقوتة. ولاية سكيكدة.

[33]- رواية السيدة كريم فاطمة. ولاية المسيلة

تاريخ الإيداع/ 16/ 04/ 2016